الفصل الثالث

الدين والأبواب المفتوحة

نصنف المعطى الديني في مسار الصدام انطلاقاً من أنه كان مفتوحاً على كل الاتجاهات والاحتمالات ومع أنه من المفترض أن يكون منحازاً إلى الإنسان وقيمه الرفيعة، وأن حضوره كان لتعزيز هذه القيم، ولجعل الناس أكثر طمأنينة ورقياً، فإن أحداث التاريخ لا تعزز هذه الافتراضات، فقد كان الدين مطواعاً في توجيهه لتحقيق مآرب من الواضح أنها بعيدة عن منظومته القيمية، وكان غطاء للصدام كما للحوار.

إن جهد عشرات أو مئات الآلاف من الأنبياء والقديسين والصالحين وسيرهم وأعمالهم وتراثهم كان من شأنها أن تنزل السكينة على قلوب الناس فيعم السلام وتصبح مقولة: ((المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وفي الناس المسرة)) التي يرددها المسيحيون في مناسباتهم الدينية، وتحية الإسلام التي التي يرددها المسلم كل يوم مرات عدة ((السلام عليكم))، إشارات إلى مضمون حقيقي. لكن الذي حدث أن مقولات كهذه همشت وفرغت من مضامينها الإنسانية، ونحيت عن ساحة الفعل لتحل محلها حراب المقاتلين وأيديولوجيات المتطرفين الذين تمترسوا بنصوص وسير لا تخدم إلا الصدام. لاشك أن قوى البطش والاستغلال استطاعت توظيف المقولات الدينية،وربطت المقدس والمتعالي بالمصالح الدنيوية لإدامة التسلط والنهب، وهذا ما يحدث تعارضاً بين الشعارات المرفوعة والحقيقة الواقعة، يقول تيري ايجلتون: ((فما يثلم سمعة الدين هو النشاطات الدنيوية التي تمارسها

الرأسمالية وليس اليسار الملحد، ذلك أن الأساس الدنيوي للرأسمالية يقوض البنية الفوقية الروحية التي يحتاج إليها لتأمين استقراره))(1).

obeikandl.com

الدين وتشكيل الوعي:

هناك اتفاق على أن الدين ساهم مساهمة كبرى في تشكيل وعي الإنسان بوجوده، لكن هذا الدور لم يحصل دفعة واحدة، ولا الإنسان وجده في كامل جاهزيته التي نراها متحققة في طور اكتمال الأديان الكبرى.

لقد مر تشكل الوعي الديني بمراحل كانت تحاكي أو تساير مراحل تطور الوعي الإنساني، إذ لا يعقل أن يكون الإنسان في أطواره البدائية قادراً على إنتاج منظومة دينية رفيعة المستوى، من هنا نجد أن علماء الانتروبولوجيا يتحدثون عن السحر ودوره في حياة الشعوب البدائية، والذي أدى تطوره إلى مرحلة انتشار الأساطير التي تعد معلماً في مسيرة التطور الروحي للإنسان، وكما أن المرحلة الأسطورية لم تكن تشكل قطيعة مع المراحل التي كانت قبلها والتي كان السحر يلعب فيها الدور الأساسي، كذلك كانت النقلة من مرحلة الأسطورة إلى مرحلة الدين المكتمل الناضج، أمراً أكثر وضوحاً ربما، حيث بدأت الأديان تتخلص في منظوماتها من الأساطير جزئياً لصالح تكوين أكثر رقياً، وصولاً إلى منظومات دينية تنطوي على ضوابط شديدة التعقيد والتشعب.

وفي كل هذه المراحل التي مر بها تطور الأديان كان الخوف هو الدافع الأبرز لإيجاد وتطوير منظومات دينية، يقول د. عادل العوّا: ((الخوف خاصة هو مصدر التدين.. وكان لا بد من السعي للخلاص من الخوف، والخوف عكسه الطمأنينة، وذلك بتنظيم شؤون الحياة وضبط العلاقات والمعاملات، وبهذا التنظيم نشأت الحضارات))(2).

هذا الخوف، من المجهول، من الطبيعة، من الآخر ومن الذات، والذي أساسه الجهل بمكونات العالم وبالنظم والقوانين التي تتحكم بهذه المكونات، جعل ((الحياة الدينية ترسم علاقات البشر بعضهم ببعض في ضوء صلتهم بقوة عليا متفردة الاختصاص لأنها وحيدة النوع ومن أبرز خصائصها أنها توجب قيوداً يكون الخروج عليها مصدر عقوبات مخيفة ومتفاوتة، في الجسد أو الروح، أو في كليهما معاً)) (3).

وقد كان من شأن ذلك أن يبدد شحنة الخوف ليلقى بها إلى القوى التي يتوهم قدرتها على حل هذه الأعباء وإزالة العوائق، وقد تطورت هذه المنظومة العقدية بتطور وعي الإنسان.

اعتبر الدين جزءاً من المنظومة الثقافية عند الشعوب، هذا الجزء يكبر أو يصغر، ودوره يتعاظم أو يتضاءل بفعل طبيعة الدين وحركة التاريخ والنشاط البشري. والملاحظ أنه في الكثير من الحالات أو عند الكثير من الشعوب يتجاوز كونه جزءاً من منظومة ثقافية أي منظومة وعي الوجود، ليصبح ضابطاً لحياة الناس وناظماً لسلوكهم الاجتماعي أخلاقياً واقتصادياً وسياسياً، عندما تتم الدعوة أو يتم التصرف لضبط إيقاع الحياة المعاشة وكافة ظروفها على أساس المقاييس المستمدة من المنظومة الدينية، وهذا واضح وجلي في الواقع الإسلامي، وفي فكر المتشددين في تطبيق الدين الإسلامي، كما هو واضح في حياة بعض شرائح اليهود والمسيحيين أيضاً، حيث يطلب من الدين إيجاد الحلول والنواظم لقضايا الحياة ومشكلاتها.

وقد برزت المنظومة العقدية على أنها ملاط قوي يؤكد اللحمة بين الناس، فكانت من أبرز مظاهر التضامن في الكثير من مراحل التاريخ، خاصة عندما تتخالط بالمصالح، يقول إيلجتون: ((فما من شكل من أشكال الثقافة أكثر قوة من الدين في ربط القيم المتعالية بالممارسات الشعبية، أو ربط روحية النخبة بإيمان الجماهير، وفاعلية الدين لا تتأتى من إشارته إلى عالم آخر، وإنما من تجسيده هذا العالم الآخر في شكل حياتي عملي. وهذا ما يمكنه من إقامة صلة بين الثقافة والثقافة، بين الحياة المطلقة والحياة اليومية)) (4)..

العقائد لا تأذن بالتسامح:

المنظومات العقيدة منظومات أقرب إلى الانغلاق، ولا نقول مغلقة، علماً أن الأساس فيها الانغلاق، لكن التجربة التاريخية أثبتت تأثيرات كبرى بين المنظومات الدينية بفعل التوارث أو الاحتكاك، سواء عن سابق وعي وتخطيط أو بشكل عفوي ومن الأبواب الموارية.

إن ظهور دين جديد يكون مصحوباً بقناعة أن الأديان السابقة غير قادرة على إنجاز مهمات تطوير وإنقاذ البشرية، يعني عجز وإفلاس المنظومات العقدية السابقة عن حل المعضلات المستجدة وقصورها عن إدراك الحقائق كاملة، ولو كان القادم الجديد يرى أن المنظومة أو المنظومات السابقة صالحة لما هو قادم من الأيام لفقد مبرر وجوده، فالحقائق المطلقة عندما تمثلها عقيدة ما تكون كافية للبشرية للإيمان بها، بل ترى أن من واجب الإنسان ومن الخير له أن ينضم إلى هذه المنظومة ويؤمن بالعقائد الداعية إليها، خلاصاً له.

ومهما كانت الجزئيات التي تخالف بها عقيدة ما العقائد التي سبقتها ضئيلة فإنها تكون هي الأساس في العقيدة اللاحقة. وفي الأديان لا يكون الخلاف على نسب مئوية، بل تؤخذ المنظومة كاملة أو ترفض كاملة. ورفض أية جزئية منها هو رفض لها جميعاً، وخروج منها جميعاً، وكفر صراح.

لنتصور مسلماً رفض أحد أركان الإيمان أو إحدى العبادات، هل يبقى في نظر المسلمين مسلماً حقيقاً أم يوصم بالكفر والمروق؟!

وهكذا حال الطوائف المتشكلة داخل كل دين، كل منها لها منظومتها وترسيمتها. وهنا نذكر رأي د. محمد أركون الذي يتحدث عن السياج الدوغمائي المغلق في الكثير من كتاباته(5)، ويقصد أن كل دين (أو طائفة) يعمل على تكوين منظومة عقائده ويغلق المنظومة، فلا تعود قادرة على إدخال جزئيات حادثة إليها ولا على إخراج جزئيات منها، فالادخال يعني أنها قابلة للتشكل من جديد، والمنظومات الإطلاقية ترفض ذلك، كما أن الإخراج يعني أنها قابلة للنقص والتحلل، وهذا أيضاً مرفوض في نظر المؤمنين، وقد بينا ذلك في مؤلف خاص(6).

هكذا تصبح العقائد غير آذنة بالتسامح فيما يخص الجزء المصمت (العقدي) وقد تلحق بهذا الجزء الكثير من الجزئيات الطقسية، وأحياناً يكون بعضها قادراً على التعايش مع غيرها في الجزئيات الحافة بالعقيدة أي التي ليست من صلب الحقائق المطلقة التي ترعاها. وكثيراً ما تتشابه العقائد فيما بينها، سواء في الأجزاء الأساسية من العقيدة أو في جزئيات الطقوس والعبادات وتتأثر ببعضها كما في انتشار طقوس الصوم أو الحج أو الصلوات وغير ذلك في جميع الأديان.

obeikandl.com

كلنا يعلم مدى القرابة والتواشج بين ما نطلق عليه الأديان السماوية، فـ ((الديانات الإبراهيمية كما سماها لوي ماسينيون شعرت كل منها دوماً خلف ظهرها بحضور الديانة الأسبق، المسيحية في نظرتها إلى اليهودية ثم الإسلام الذي يؤمن معتنقوه بأنه جاء ليكمل ما قبله ويختم خط النبوة))(7).

المسيحية المنبثقة من قلب اليهودية رأى فيها أتباعها الأوائل، خاصة من اليهود أو من غير اليهود أنها تصحيح لمسار اليهودية، ولم يروا فيها ديانة جديدة تنسف أو تلغي اليهودية، فالشعور باستقلال المسيحية عن اليهودية جاء في مرحلة تالية، يقول المؤرخ د. نقولا زيادة : ((أما المسيحية الهلينية فقد بدأت في القدس أيضاً، لكن سرعان ما ظهرت خصائصها في إنطاكية (وفي هذه المدينة سمي المسيحيون بهذا الاسم للمرة الأولى). وأبرز ما في خصائص هؤلاء المسيحيين، أنهم لم يروا أنفسهم طائفة يهودية أو فئة يهودية))(8).

وقد كانت هناك مواقف وتصرفات تؤسس لعدم التسامح، بالتركيز على المختلف دون المؤتلف بين اليهودية والمسيحية، وجرى وضع الأسيجة والحدود التي تمت حراستها منذ البواكير الأولى، وأصبحت التضحية في سبيلها مدعاة لنيل رضوان السماء.

أيضاً، اعتبر الإسلام مكملاً لليهودية والمسيحية وخاتماً للأديان لم يترك شيئاً ليقال بعده. لكن هذه القرابة الدينية الوشيجة لم تلغ الشعور بأن: ((الصعود والتوسع السريع للامبراطورية الإسلامية وازدهار الحضارة الإسلامية قد فرضا خطراً مباشراً على مكانة العالم المسيحي في العالم من الناحية اللاهوتية والسياسية على حد سواء))(9). و((إن التشابهات اللاهوتية بين المسيحية والإسلام وضعت الديانتين على طريق الصدام، إذا كانت كل أمة تؤمن أن ميثاقها مع الله يقتضي تحقيق وحي الله الباكر إلى أمة سابقة ضلت))(10).

العامة يتحدثون عن عداوة (الكار) المصلحة، ويقولون: عدوك من عاداك في فنك. إنه التسابق على المشروعية وعلى الوجود، على تمثيل الآخرين وعلى الجدارة في هذا الحقل، بل على الاستحواذ. هل نستطيع أن نقول إن العداوة بين الديانات كما العداوة بين الأحزاب، هي عداوة تنتمي إلى هذا الحقل، حقل التنافس على

مشروعية تمثيل الناس والاستحواذ عليهم وتوجيههم والسيطرة عليهم مدعومة بالمطلق؟!

الواقع وحركة العقائد:

إذا كانت العقائد لا تأذن بالتسامح في خطها الفكري ((العقدي))، فإن هذا لا ينطبق على حركتها التاريخية. لقد انطوى الحراك التاريخي للمجموعات البشرية باختلاف عقائدها على مؤشرات للحوار بين هذه العقائد، مثلما أو ربما أكثر مما انطوى عليه من حالات الشقاق.

الجانب العقدي (النصوص بما تتضمنه من تعاليم وأفكار) عندما يتعين في سيرورة تاريخية ويحتك بالواقع، يتعاطى من الممكنات وسرعان ما يتأقلم مع هذه الممكنات، فيظهر التأثر والتأثير، وقد أبقى تاريخ المجتمعات وتاريخ العقائد وتارخ الفكر الكثير من المؤشرات على التأثيرات والتداخل، فالحالات العقائدية ليست حالات سياسية أو دول لها بدايات محددة بصرامة، وهي لا تقاس تطورياً بالسنة أو بالعقد بل ربما بالقرون، فحركة الفكر والثقافة لها مسارها البطيء، لكن الراسخ.

وكما رأينا أنه يصعب على حضارة أن تتخلص من سابقاتها، أو يعتبر من المحال ذلك فتعمل على إدماجها أو إدماج أفضل ما فيها في حركتها الصاعدة، كذلك في الأديان، يصعب أن يأتي دين متخلصاً مما قبله بشكل كامل، ولا بد أن يحمل جزئيات مما سبقه من الأديان والعقائد، قليلة كانت أو كثيرة، وهذا بحد ذاته يعتبر حواراً بين هذه القطاعات الحضارية، لأن سنن الكون وتطور الإنسانية أن لا تبدأ الحلقة الجديدة من البداية، بل من حيث وصلت سابقاتها، ولهذا أشرنا إلى التطور من السحر إلى الأسطورة وصولاً إلى الدين. لكن الحوار الذي كان يجري على مستوى الأفكار كان يترجم صداماً على أرض الواقع.

في المنظومات الدينية، كان احتواء اللاحقة لأجزاء من السابقة واضحاً. فالعقائد التي انتشرت في منطقة الشرق الأوسط، في بلاد الرافدين وسورية ومصر تنطوي على تشابهات كثيرة، كعقائد الخصب وارتباط ذلك بقدوم الربيع أو انتهاء فصل الصيف، والتمثيل لها بموت الإله، تموز (العراق) وبعل أو أدون (سورية)

وأوزيريس (مصر)، ثم عودتهم إلى الحياة وما يرافق ذلك من طقوس لا تزال تبرزها الاحتفالات الشعبية في المنطقة إلى يومنا هذا، فيما يعرف بأعياد الربيع (شم النسيم، النوروز...) وربما انتقل بعض هذه الطقوس إلى المسيحية واليهودية (الفصح، وموت الفادي، وحضور الالهة الام....)(11)

إن انتقال بعض العناصر العقدية عبر الزمان والمكان لا يترك هذه العناصر على حالها، ولا بد من إحداث بعض التحويرات فيها لتصبح ملائمة لواقع جديد تصبح أحد مكوناته، بل ربما تذوب لتصبح جزءاً من منظومته. هذا يعني أن ظروف الواقع المعاش تتدخل في الأشكال النهائية التي تأخذها المنظومات الدينية الأصلية أو الوافدة، هذا الحوار الذي يبدو هنا على المستوى الثقافي الديني، قل أن يساهم في الحوار المجتمعي، لأن حوار المجتمعات يقوم أساساً على المصالح التي لا تركن إليها العقائد.

لقد دخلت الإلهة السورية سيبيل إلى روما تحت اسم ((ماجنا ـ ماتر)) أي الأم الكبرى سنة /204 قبل الميلاد، عندما كانت الجيوش الفينيقية تتقدم نحو روما لحسم المعركة على الأرض الإيطالية، ويقول فراس السواح إن مجلس الشيوخ الروماني أرسل رسلاً رسميين إلى فرجيا فجاؤوا بحجر الإلهة سيبيل الأسود، الذي يعتبره الفرجيون عرش الآلهة المقدس، ونصبوه في احتفال رسمي وشعبي كبير فوق قمة البالنتين حيث معبد النصر، بعدما كانت نبوءة كبرى قد قالت إن نصر روما سيتحقق بوجود الأم الكبرى بينهم. بعد ذلك بأقل من عامين خرج هانيبعل من إيطاليا، فبنى الرومان لسيبيل معبداً خاصاً، وانتشرت عبادتها مع حبيبها أتيس في جميع البلاد.(12)

وباعتبار أن الدين أحد مكونات الحضارة فإننا نشير إلى هذا الشكل من أشكال الحوار بين الحضارات عن طريق تلاقي عناصر حضارية شرقية مع حضارة متسيدة كالحضارة الرومانية، ويتابع السواح: ((أما القائد القرطاجي المتراجع فقد وقف على الشاطئ الإيطالي، قبل صعوده في آخر سفينة مغادرة، ليلقي نظرة أخيرة على الأرض التي كانت مسرحاً لأحلامه، وهو لا يدري أن روما العظيمة، التي دحرت المد الشرقي العسكري، قد فتحت أبوابها لغزو شرقي من نوع آخر، غزو ديني اكتسبها دون قتال، ابتدأ بالأم الكبرى سيبيل وابنها آتيس القتيل، وانتهى بانتصار ساحق مؤزر للشرق على الغرب، على يد الأم الكبرى مريم

العذراء وابنها يسوع الصليب بعد بضع مئات من السنين))(13) كل ذلك لم يوقف المصالح أن تقود إلى الصدام.

ويذكر البعض في حديثهم عن أديان اليونان: ((لم يضيفوا إلى تراث البشرية الديني شيئاً وإنما أخذوا كل شيء عن الديانات الشرقية عن طريق الفينيقيين والكريتيين))(14).

الأديان السماوية تتأثر وتؤثر:

عندما قدمت اليهودية كديانة لها أنبياؤها، كونت منظومتها العقائدية عبر ما اعتبر وحياً سماوياً من إله متعالٍ إلى أنبياء بني إسرائيل أولاد إبراهيم، وكان الحراك التاريخي لهذه القبيلة (إسرائيل) في منطقة الشرق الأوسط منذ النشأة في أور الكلدانيين والرحيل إلى فلسطين ثم الهجرة إلى مصر والسبي إلى بابل. وقد حملت هذه الديانة حسب تأكيد التوراة آثار هذا الحراك، فإله إبراهيم الواحد وجد منافسة من آلهة الكنعانيين عند أحفاده من أمثال سليمان الذي مال إلى آلهة محظياته، كما أبر زت التوراة حكايات كحكاية الطوفان التي يعتقد أنها انتقلت من بلاد الهند حيث وجدت منذ 1800 ق.م في أدبيات الآريين، وتأكيد وجود صلات بين الهند والعراق حيث وصلت الحكاية إلى هناك(15). ومن ثم انتقلت إلى التوراة وما تلاها من الكتب السماوية. ولم تكن هذه الحكاية هي الأثر الوحيد الذي سجل انتقاله من الهند، فهناك رموز الخصب وتقديس علاقاته وأعضائه عند الإنسان(16). كما أن حكاية الطفل موسى مع فرعون هي نسخ لحكاية سرجون الأكادي والبستاني الذي أنقذه. وقصة عبادتهم للعجل الذهبي أيام موسى هي تأثر بعبادة العجل (أبيس) عند المصريين. وليست ثقافات الشرق الأوسط ودياناته هي التي تركت أثرها على اليهودية فقط، فالأثر اليوناني يظهر بمجرد تفكيرهم بترجمة التوراة إلى اليونانية، وهناك مؤثرات هندوسية ظهرت في التلمود وخاصة عقيدة التناسخ الهندوسية ((وخلاصة القول إن اليهود تأثروا في

معتقداتهم التعبدية بما عند الشعوب التي عاصروها واندمجوا معها في نتاج فكري موحد))(17).

إن عناصر عقدية وثقافية كنظرية وحدة الوجود، ورياضة اليوغا الروحية والتقمص أو تناسخ الأرواح هي عناصر هندوسية، هندية المنشأ انتشرت في ديانات عدة[18].. كما أن فكرة التثليث (التي أساسها: براهما + فشنو + سيفا)هندية المنشأ انتقلت إلى أوسع الديانات انتشاراً كالمسيحية (19).

ولم تتأثر المسيحية بعقيدة التثليث فقط، بل هناك من يقارن بينها و بين اليهودية، وبينها وبين عبادة البعل، والمسيحية والديانة الميثرية اليونانية والرومانية وغير ذلك حيث تظهر الكثير من العناصر المتشابهة تشابهاً لا يرقى جميعه إلى الصدفة والعفوية، بل لا بد من البحث في إطار علم الأديان المقارن عن الأسباب والسبل التي أوجبت ودفعت إلى هذا التشابه(20).

وإذا كان تأثير المتقدم على المتأخر بانتقال عناصر منه إليه هو الشكل الأكثر وروداً في عمليات التثاقف، فإن هذا لا يمنع من ظهور آثار في المتقدم من المتأخر، ظهرت بفعل التجاور والاحتكاك، فهناك مؤثرات إسلامية واضحة في اليهودية تظهر خصوصاً منذ عهد الحبر موسى بين ميمون وابنه ابراهيم، ويبدو هذا في الصلوات وفي باب الطهارة (الوضوء) (21).

وما لا يخفى على القاءى العربي والمسلم الحجم الكبير لآثار الديانتين اليهودية والمسيحية في الإسلام، فالقرآن كتاب الإسلام الموحى فيه الكثير مما سمي بالإسرائيليات وهي تلك الإشارات والحكايات والقصص التي تتحدث عن بني إسرائيل وتجربتهم الحياتية والدينية وأنبيائهم، كذلك ما يتضمنه من وضوح الإشارة إلى السيد المسيح والسيدة العذراء، شخصيات القداسة المسيحية الأبرز، ومدى الإجلال والتعظيم الذي يكتنف الحديث عن هذه الشخصيات.

وما لا يخفى في الإسلام أيضاً أثر العقائد الهندية بعدما تسربت إلى الفكر الإسلامي عبر التواصل الحضاري وانخراط الكثير من أهل الهند في الإسلام، وتعتبر الكثير من الأفكار التي وصفت بالإلحادية كنقاشات ابن الرواندي حول النبوة من أثر الاحتكاك بديانات الهند في الإسلام.

ولقد كان للإسلام ميراثه مما كان سائداً في المنطقة التي ظهر فيها، فلقد استمرت في الإسلام عناصر قيمية مشكلة مصدراً من مصادر شريعته، وهي تلك القيم الرفيقة التي كان الناس يعيشونها قبل ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وقد أشار إليها خليل عبد الكريم في كتابه ((الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية))(22).

الصدام تحت غطاء الدين:

إن هذا الحجم من التأثر والتأثير (التثاقف أو الحوار) لا يلغي أو لا يخفي حجم الصراعات أو الصدامات التي حدثت، ليس بين ديانتين، بل بين أقوام أو جهات أو مجموعات بشرية تدين بديانتين من هذه الديانات، يظهر ذلك مثلاً بموقف اليهود من السيد المسيح ثم من النبي محمد، وقد أخذ الصراع شكل الانتصار للدين، لكنه في جزئه الخفي والحقيقي كان يشير إلى مصالح فئات معينة تخاف على نفوذها أو ثروتها أو على وجودها كخوف اليهود من الزعامة التي تكبر للنبي محمد مما دفعهم للكيد له، والمصلحة لا العقائد في أساس الدوافع لهذا الكيد.

لقد حدثت الكثير من الصدامات عبر التاريخ بين من يدين بالمسيحية ومن يدين بالإسلام، لكن أبرز هذه الصدامات كانت في العصور الوسطى، في ما سمي بالحروب الصليبية، ويكفي اسمها للإشارة إلى أنها تجري باسم المقدس وتخاض نيابة عن آلهة مختلفة ومتناقضة ومتصارعة في نظر من يخوضونها ولكن الكثير من الحقائق تبرز دور الجشع والأطماع بالمكاسب في التبرير الداخلي لهذه الحروب. فإذا كانت هذه الحروب انتصاراً للمسيحية ومقدساتها وحماية لهذه المقدسات وتخليصاً لها، فما الذي يجعل الصليبيين يسرقون مجوهرات بطريركية انطاكية وأموالها، بحيث تظهر هذه الحملات وكأنها هجمات لصوص على ممتلكات المسيحيين والمسلمين؟(23).

بدأت الحروب الصليبية باستغاثة الامبراطور (الكسيوس الأول) لوقف التوسع الإسلامي وبموعظة البابا (أربان الثاني) الشهيرة في مجمع كليرمون /1095/

لاسترداد القدس تحت راية الصليب ((فسار بعضهم مدفوعاً بسائق الدين ومنهم الطامع بالمغانم والأرباح)) واستهلوا أعمالهم بذبح اليهود في أرض الراين، ودخلوا القسطنطينية فعبثوا بالبيع والكنائس وأحرقوها(24).

ويقول ايريك دوتشميد: ((وزاد في الأمر سوءاً أن عهد الفروسية المناط به حماية الصليب المقدس قد تحول إلى عهد صعلكة انشغلت فيه عصابة البارونات بملء محافظ نقودهم)) (25).

ويعدد الكاتب أمثال هؤلاء البارونات مثل: (رينودوشاتيّون) و(جيراردو ريدفورت) وبطريرك القدس هيراقيلوس ((القس العفيف)) وهو الأسوأ بين الثلاثة.

ويقول دوتشميد مبيناً أثر المصالح وغلبتها على العقائد والثقافات، وانحياز المؤمنين إليها على حساب عقائدهم وتوجهات رؤسائهم الدينيين من أعلى المراتب: ((وشن البابا أنوسنت الحملة الصليبية الرابعة، أما أولئك الذين لبوا دعوته فلم يكن دافعهم الجهاد المقدس، بل نهب ثروات الشرق)) (26). ويذكرنا هذا الكلام بكلام المؤرخ ول ديورانت يقول: إن أعلى البابوات شأناً وأعظمهم سلطاناً في تاريخ الكنيسة المسيحية لم يستطع أن يرفع صوته فوق رنين الذهب. وهذا يوضح ما تؤول إليه العقائد في مواجهتها مع ما تريد الانتصار عليه من القوى والنزعات الشريرة عند جماهير المؤمنين.

قليلة هي الحروب والصراعات الكبرى والممتدة التي تم خوضها تحت شعارات تعبر عن حقيقتها، خاصة تلك الكبرى والمدمرة التي تم خوضها تحت شعارات أخلاقية طنانة. كلها كان المعلن فيها الدفاع عن القيم الرفيعة والكرامة الإنسانية المهدورة وحقوق الله والعباد الضائعة، في حين كان المخفي والمستور يشير إلى تحقيق المكاسب والمصالح المباشرة، تافهة كانت أو كبيرة.

تخوم القداسة لا يدافع عنها، فكلها محروسة من قبل الآلهة، والإله واحد بأي شكل تم التعبير عنه، ولا خلاف بين أرباب الديانات على المعاني والقيم الكبرى للألوهية، فالاله في كل دين من الأديان يتسم بالحياة والإرادة والعلم والقدرة وغيرها من الصفات المتعالية، فأين الخلاف إذن، إذا كان الجميع يقرون بهذه الصفات؟ إنه على الجزئيات والتفاصيل والأغراض والتفسيرات لا على الجوهر

(جوهر الربوبية)، وربما كانت المصالح هي أبرز ما يجعل الاختلافات لا تزول بسهولة بل تتحول إلى مصادر للنزاع.

في العصور الحديثة استبدل الغرب التوجهات بالنظرة العلمانية التي تؤسس على العقل، مستبعدة الدين عن اعتباراتها، دون عداء له أو انحياز نحوه. وإذا كان المستكشفون في عملية الكشوف الجغرافية التي قام بها الغرب، قد رافقهم الباحثون عن الذهب وحاملوا الانجيل، أي حسب معادلة ريجيس دوبريه: ((ذهبك مقابل الهي. اعطني الدراهم وإليك المطلق، إنني أنهب، ولكنني أهدي للحق)) (27). فإن الغرب لم يعد يتحصن بها، أي بالرؤية الدينية أو ينطلق منها في استغلاله للشعوب ونهبه لخيراتها، بل استبدلها بشعارات علمانية وإن كانت لا تغيب عن الأفق الأخلاقي الذي كان الدين ناطوره، كحقوق الإنسان وما شاكل من الشعارات التي تعطيه بعداً عالمياً حتى ولو كانت المفاهيم الدينية تكمن وراء هذه الشعارات، لم يعد كفر الإنسان بالاله هو العنوان بل شعار كفر الإنسان بالمشترك الإنساني.

إن توظيف الدين يكتسب أهمية كبيرة بما ثبت أنه لا يزال قادراً على تجييش الناس، بدرجات متفاوتة بين دين ودين أو منطقة ومنطقة، ويبدو أنه من الضروري للقوى الكبرى أن يكون هناك عداوات وخصومات يمكن إبراز دور الدين فيها، لأن مناخ العداوات والخصومات يبرزها الأقدر على الإفادة من مناخها بما تمتلكه هذه القوى من إمكانية تجعلها قادرة على حسم الصراع لصالحها. وهنا نشير إلى استبعاد خوض الصراعات من أجل القيم المهدورة.

وهكذا تبرز الأصوليات الدينية التي تتم تغذيتها كخطوط للدفاع، يتم تحصينها وحمايتها من الأطراف المعسكرة على حواشيها. ولو نظرنا إلى الأصولية الإسلامية (الإسلام السياسي) لوجدنا أنها طرأت نتيجة الخذلان الذي حصدته المنظومات الواعدة (اليسار واليمين) بخيبتها في إنجاز مشاريعها التي وعدت بها على مدى عقود: ((فالأصولية الدينية التي هي عقيدة من تخلت الحداثة عنهم، لا بد أن تدفع البشر إلى أفعال قتالية دفاعاً عن مجتمعهم ... والمشكلة الوحيدة في الغرب هي أن مثل هذا التعصب الأعمى لا بد أن يقف في مواجهة القيم الليبرالية التي يفترض به أن يدافع عنها))(28).

هذه الأصولية الإسلامية كانت مرعية من قبل بعض المنضوين في منظوماتها العقدية، كذلك كانت مرعية ومحروسة من قبل بعض القوى الامبرياليه التي تصورت أن تستخدمها ضد أعدائها مجاناً، مستغلة التفارق الديني أو دعاوى الكفر والإلحاد التقليدية كما حدث في استخدام الولايات المتحدة لهذه الأصولية ضد السوفييت في أفغانستان، لكن تبين لاحقاً أن العقول المصمتة يصعب الرهان عليها، وتصعب معالجتها، حيث ينقل عن السيد المسيح قوله:

((كل داء داويته إلا الحمق فإنه أعياني)) وهكذا انقلب السحر على الساحر، وصعب على الحاوي إعادة الكوبرا إلى جرابه، بل بدأت تلدغه.

تهافت التقسيم الهنتنجتوني للحضارات:

يقيم هنتنجتون الحدود ويعلي الأسوار بين الحضارات باعتبارها تكوينات دينية أو طائفية، وحدود إلهية تبدأ أو تنتهي عند تخوم مقولتي الكفر والإيمان كناظمين لاصطفاف الناس، وينطلق من مفاهيم الحقل الديني والطائفي في رسم خريطة العالم الذي تمزقه أسوار عالية من العقائد الدينية، حتى ولو أقر الجميع بإيمانهم برب الكون الواحد.

ليس من الدقة والحصافة العلمية والتاريخية أن ننكر دور العقائد والأديان في صناعة الخلافات وتكريسها، وفي إثارة النعرات وتجييش الجيوش. لكن إذا كانت العقائد لا تأذن دوماً بالتسامح فإن هذا لا يعني أنها كانت قادرة دوماً على صناعة الحروب والصدامات ما لم تكن المصالح هي الفاعل الحقيقي الذي يستخدم العقائد في تحقيق الاصطفافات. فبدل أن تتم تنمية المشترك الديني (الإيماني)، القاضي بعبادة إله واحد ذي صفات متعالية لدى الجميع، تحت تنمية التفاصيل الصانعة للاختلافات والتركيز على الجزئيات العقدية والعبادية (الطقوسية) التي لا تنتمي إلى الأصول.

يقول هنتنجتون ((في هذا العالم الجديد لن تكون الصراعات المهمة والملحة والخطيرة بين الطبقات الاجتماعية أو بين الغني والفقير أو بين جماعات أخرى

محددة اقتصادياً، الصراعات ستكون بين شعوب تنتمي إلى كيانات ثقافية مختلفة)) (29). وهو هنا لا يحيل الصراعات إلى الحيز الثقافي فقط، بل يكتفي بعنصر من عناصر الثقافة يحمله مسؤولية ذلك وهو الدين. لكنه لا يضع الأديان كلها في مستوى واحد من حيث قدرتها على صناعة ورعاية التعصب والصراعات والحروب وإشاعة أجواء الكراهية، وإعلاء الأسوار، فهو يرى: ((أن أشد خطوط التقسيم الحضاري عنفاً هي تلك الموجودة بين الإسلام وجيرانه الأرثوذوكس والهندوس والأفارقة والمسيحيين الغربيين)). و((من المرجح أن تنشأ أخطر الصراعات في المستقبل نتيجة تفاعل الغطرسة الغربية والتعصب الإسلامي والتوكيد الصيني) ثم يعترف ((من بين جميع الحضارات فإن الحضارة الغربية هي الوحيدة التي كان لها تأثير رئيسي وأحياناً مدمر على كل الحضارات الأخرى)) (30).

ويقول أيضاً: ((حيثما ينظر المرء على امتداد حدود الإسلام يجد أن المسلمين لهم مشكلات في العيش مع جيرانهم بسلام)) (31). وهو عندما يلاحظ ((أن غالبية صراعات خطوط التقسيم قد حدثت على امتداد الحدود الملتفة عبر أوراسيا وأفريقيا والتي تفصل بين المسلمين وغير المسلمين)) (32).فهو يصر على عدم رؤية سوى البعد الديني الذي يلخص الحضارة به وهذا إخفاء لحقائق التاريخ تشير إلى أن الصراعات لم تنحصر في إطار التكوينات أو الترسيمات الدينية وحدودها، وإذا كان أبرز شواهد الصراع في العصر الحديث هو صراع العرب والمسلمين مع إسرائيل اليهودية الغربية، فمما لا شك فيه أن الإسلام لم يستحدث هذا الصراع ولم يسببه وليس هو الصادم لغيره، بل هو المصدوم بغيره. والخطاب الديني في هذا الصراع مستخدم لإخفاء المصالح التي حركته وتحركه، بدليل الحياة المشتركة لليهود والمسلمين في كثير من مناطق العالم.

ولكي يخرج نفسه من مأزق التقسيم الذي اخترعه للحضارات، فهو عندما تواجهه مشكلة الصراع بين فئات تنتمي حسب تقسيمه إلى حضارة واحدة (كالصراع بين السنة والشيعة في الباكستان مثلاً، أو بين الكاثوليك والبروتستانت في إيرلندا) يحاول الالتفاف على ذلك بتقسيم الحروب والنزاعات بين الجماعات ذات الانتماء المحدد إلى حروب سماها ((حروب خطوط التقسيم الحضاري)) وأخرى سماها(الحروب الطائفية) وراح يميز بين

خصائص كل منها (33). علماً أنه كان يمكن تجنب هذه الحذلقات بإعادة الحروب إلى أبعادها الحقيقية وهي المصالح كما سنرى،سواء كانت ظاهرة معلنة أو خفية مبطنة. والصراع الذي حصل في لبنان والذي أخذ المظاهر الطائفية مثال واضح يشير إلى أن مصالح السياسة والنفوذ ومصالح أخرى داخلية وخارجية كانت وراءه مهما بدت القشرة الطائفية للصراع براقة.

أيضاً فإننا لا نجد مثل هذه المعايير تنطبق على صراع الأكراد مع الدولة التركية أو مع نظام الحكم في العراق، إذ لا ينطبق على هذا النزاع والتصادم لا المقياس الديني ولا الطائفي، إذ لا يوجد خلاف ينطبق عليه أي من المقاييس المشار إليها.

تقسيمات تثير الأسئلة:

إن التعسف واللامنطقية في التقسيمات الحضارية التي يوردها هنتنجتون، تثير الشعور بتهافتها وعدم دقتها، لا بل عدم قدرتها على أداء الوظيفة التي توخاها منها، وهذا أمر يثير الكثير من الأسئلة.

لماذا كانت بعض الأديان تشكل حضارة حيث انتشرت وربما أكثر من حضارة، وبعضها لا؟ فاليهودية وهي دين سماوي سابق على المسيحية والإسلام، لا تنسب إليها حضارة كما تنسب للدينين اللاحقين أيضاً هناك أديان كثيرة بعضها واسع الانتشار كالبوذية، لا ينسب إليها حضارة!

لماذا كان التفارق الطائفي حدوداً حضارية في المسيحية (الكاثوليك والبروتستانت حضارة، والأرثوذكس حضارة ثانية) ولم يكن في الإسلام كذلك مع أن حدود التفارق بين طائفتي السنة والشيعة مثلاً، واضحة؟ فهو يطبق مقاييس مختلفة على واقع متشابه.

لماذا جمع البروتستانتية والكاثوليكية معاً في حضارة واحدة وأفرد الأرثوذكسية في حضارة مستقلة؟

إنه يقيم حدوداً دينية بين الحضارات ولكنها تساير حدود الدول (أي سياسية) علماً ان بعض الدول منقسمة طائفياً ودينياً، فالولايات المتحدة تتعايش فيها عدة أديان والكثير من الطوائف، والمسلمون فيها ليسوا أفراداً بل ملايين، كذلك في

obeikandi.com

فرنسا يعيش أربعة ملايين مسلم، وفي بلدان عربية كمصر وسوريا والعراق تعيش طوائف مسيحية تشكل نسباً جيدة من السكان، فهل تتعايش حضارات متعددة في كل بلد من هذه البلدان؟ ولم لا تتصادم؟

هناك مثال يستخدمه هنتنجتون كثيراً وهو أوكرانيا (34)، فهي تنقسم بين الحضارة التي يطلق عليها الأرثوذكسية الشرقية وهي مسيحية تختلف عنده عن المسيحية الغربية (كاثوليك وبروتستانت) التي ينتمي إليها الجزء الغربي من أوكرانيا في حين ينتمي الجزء الشرقي إلى الأرثوذكسية، مع ذلك فإن أوكرانيا تتشكل من الجزأين اللذين لا يتصارعان، وتتغلب الأوكرانية (القومية) على التكوينات الطائفية (الحضارية) التي لو صدق تقسيم هنتنجتون لندر أن نجد دولة ليس فيها مثل هذا الصراع، ولتحولت ساحاتنا الوطنية إلى ساحات حرب جميعاً.

لماذا اعتمد المقياس الديني لتشكل حضارات في الإسلام والمسيحية والكونفوشية في حين اعتمد مقياساً آخر هو البعد الوطني أو الجغرافي القاري في الإشارة إلى حضارات أخرى كاليابانية والإفريقية وحضارة أمريكا اللاتينية، ولم يسع إلى تقديم بيانات أو شروح تذكر عنها، في حين تناول الحديث عن الإسلام والمسيحية باستفاضة؟

السؤال الأهم أن التسميات تشير إلى بعد ديني أو طائفي وإذا كانت الدول الإسلامية متهمة بعدم قدرتها على الخلاص من الانتظام داخل الخطاب الديني ولا يزال حضور هذا الخطاب معبراً وذا دلالة واضحة، فكيف يمكن تطبيق المنظور ذاته عند ذكر الحضارة الغربية ونسبتها إلى الكاثوليكية والبروتستانتية علماً أن الغرب تخلص من الخطاب الديني على مستويات متعددة، متبنياً العلمانية كمنظور ومقياس لتعاطيه مع أمور الحياة، والدول الأوروبية لا تحيل في الشؤون الحضارية إلى ما هو ديني؟

ما الذي يجعل الأكراد يخوضون حربهم الدموية مع دول إسلامية يعيشون فيها، من أجل استقلالهم طالما أن الدين واحد؟ ولماذا يستقلون والدين واحد؟

إذا كان الدين مقياساً ومعلماً تتشكل الحضارات على أساسه، فماذا نصنع بالعناصر التي تبتعد عن الدين حتى في الدول الأشد تكريساً له كالدول الإسلامية؟ ففي هذه الدول توجهات علمانية وهذه التوجهات تتفاوت من الأخذ بأسباب الحضارة الغربية في التعليم

والتنظيم والإدارة الاقتصادية وصولاً إلى أنظمة الحكم التي أخذت بالمنظورات الغربية والمتطلعة إلى الديمقراطية أو التي استلهمت الماركسية وغيرها، وهذه كلها لا ينظمها المنظور الديني وترسيماته. ونحن هنا أمام طريقين وكلاهما يعمل على القسر، فإما أن نقسر الدين ليستوعب ما ليس منه، أو نقسر مالا ينتمي إلى الدين ليدخل فيه وكلا الأمرين مجافٍ لطبيعة الأشياء وحقائق التاريخ والواقع، وليس في صالح المقاييس أو المعايير الهنتنجتونية في تشكل الحضارات واصطفافاتها وصدامها.

استبعاد المعيار الديني:

المعيار الديني والخطاب الذي يعتمده يتسم بالقدرة على التفتيت والتفريق وهو خطاب ومعيار ملغم، ولا ندري كيف ومتى وبمن ستنفجر الألغام، ولا شك أنها لن تحمل الكثير من السعادة للبشرية. وإن مسايرة هذا التقسيم وهذا الخطاب سياسياً ينطوي على خطورة ظهرت وتظهر في التعاطي مع مشكلات تنتمي إلى عالم السياسة كالهجوم على مركز التجارة العالمي والبنتاغون في أمريكا، وكالحرب التي شنت وتشن على العراق.والإشارة إلى أن ديناً ما ينطوي على ما لا ينطوي عليه غيره، وإن أحدهما فيه الطمأنينة والإنسانية والرقي والآخر فيه الهمجية والعنف، لا يصمد أمام حقائق التاريخ والمضمون القيمي.

يرى د. أداورد سعيد أن ننظر إلى التشابهات على الرغم من اعترافنا أنها لا تنتمي إلى المستوى نفسه من التدمير، بين ابن لادن وتابعيه، وحركة أمريكية مثل ((الفرع الداوودي)) أو أتباع الواعظ جيم جونز في انتحارهم الجماعي في غيانا /1978/، أو حركة ((أم شيزيكو)) التي هاجمت قطارات طوكيو بالغاز السام /1995 (35).

وإن الحديث عن فوارق حضارية تقوم على العلاقة بالتكنولوجيا لا يسهم في تبين حقيقة حضارية، تشير إلى أن حضارة ما يمكن أن تحتكر قيم التطور المادي، وغيرها يعاني من عجز بنيوي لانتسابه إلى دين معين، فالأمر مرهون بنشاط البشر لا بالقيم الدينية، وهذا يفسره قدرة إرهابيي /11/ أيلول الذين تمكنوا من السيطرة على كل التفاصيل التقنية المطلوبة لارتكاب جرائمهم الجهنمية. يتساءل ادوارد سعيد، أين نضع الحد الفاصل بين التكنولوجيا الغربية ورأي برلسكوني في عجز الإسلام عن أن يكون جزءاً من الحداثة؟ (36).

إن عملاً كبيراً ينتظر أولئك الذين يؤمنون أنه لا يجوز أن يكون مصير البشرية محكوماً بنظرة ثقافية (حضارية) من شعب إلى شعب آخر لاختلاف المعايير وأنماط السلوك والحياة. بل يجب أن تكون لدينا القدرة على تحديد المشترك الإنساني، أو المشترك بين شعبين وحضارتين، وبين الأجزاء المتفردة والخصوصيات وتهذيب النشاذ منها كي لا يكون قادراً على إحداث الأذى للآخرين، وهذا دور تقوم به كل حضارة داخلياً مثلما أن الحضارات المتسيدة يجب أن تتخلص من الكثير من غطرستها، وأن تعمل على فهم الآخرين ضمن معاييرها، وهذا عمل قام به البعض عندما لاحظوا مساويء النظرة التمييزية التي تتسم بالإشارة إلى دونية الآخر.

فقد قام رجل الدين اللبناني ((ابراهيم مترى رحباني)) الذي عاش في أمريكا بتأليف كتاب ((المسيح السوري)) ونشره عام /1916/ ليظهر كيفية فهم مسيحي الشرق الذي يخالف ما هو سائد في أمريكا، ولا يزال سائداً و تعتمده في فهم الآخرين وتطبيق مقاييسها عليهم ومحاسبتهم على ما تراه، دون ذنب ارتكبوه سوى الاختلاف في الرؤية الثقافية لشؤون الحياة. وقد نشر الرحباني كتابه /17/ مرة بين 1916 ـ 1937(37).

يتبين خطأ المعيار الديني في تقييم مواقف الشعوب واصطفافاتها كما يريد هنتنجتون أن يؤكد، في رد فرد هاليداي عليه، في الإشارة إلى إيران التي ينظر إليها أنها أكثر إسلامية، أي أكثر تعصباً للإسلام ضد الآخرين باعتبار أن الحكم فيها للثورة الإسلامية التي قادها الملالي وهم أكثر تشدداً أو تمسكاً بما هو إسلامي، مع ذلك وبالرغم من أن سياستها الخارجية تعتمد على الدين بشكل خاص، فإنها تقيم علاقات جيدة مع الهند المتنازعة مع باكستان الإسلامية، وتؤازر الصين التي هي في حالة صراع مع المسلمين الصينيين، كما أنها تؤازر الأرمن في صراعهم مع الأزربيجان حول منطقة كارباخ لأن تركيا تؤازر الأزربيجان(38).

إن الانطلاق من حالة تفوق لا يترك مجالاً للنظرة الموضوعية. فمن كان في الأعلى ويسعى للبقاء حيث هو، لا يتمكن من ذلك إلا إذا كان هناك من هو أدنى ولتتحقق القطبية، بالتالي لا تتحقق النظرة الموضوعية في التعاطي بين الأطراف، لذا تقتضي التراتبية الإقرار بواقع يصعب على من كان في الأدنى الركون إليه والالتزام به لما يحمل من يأبيد الدونية، ولما يراه من عسف النظرة إليه.

هوامش الفصل الثالث

1 - تيري إيجلتون، فكرة الثقافة، ترجمة: ثائر ديب، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية بدون رقم الطبعة تاريخ النشر ص148.

2 - د. عادل العوّا، التسامح ـ من العنف.... إلى الحوار، دار الفاضل، دمشق، ط1 /2002 ص35 ـ 36.

3 -المرجع السابق ص36.

4 - تيري إيجلتون، المرجع السابق ص146.

5 - د. محمد أركون، العلمنة والدين، دار الساقي، ط2 /1992/ ص71، أيضاً كتابه: الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي ط2/1992 ص12 وفي باقي مؤلفاته.

6 - راجع، حسن ابراهيم أحمد، العقل الإيماني، مصداقية الوعد بالخلاص، دار المدى للثقافة والنشر ، ط1 /2001.

7 - د. ادوارد سعيد، مقال بعنوان: صدام الجهالات، نشر على الانترنت بتاريخ 2002/8/24.

8 - د. نقولا زيادة، المسيحية والعرب، دار قدمس للنشر والتوزيع ،ط1 /2001 ص72.

9 - د. عبد الرحيم الكريمي، صراع أم حوار بين الحضارات... أم صراع ضد هيمنة النظام العالمي الجديد، مجلة النهج/33/ سنة/19/ شتاء /2003/ ص139 نقلاً عن اسبوز يتو في كتابه: (التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة؟) ترجمة : د.قاسم عبده قاسم ص60 ـ 63.

10 - المرجع السابق ص139.

11 - راجع بهذا الشأن كتب فراس السواح مثل: لغز عشتار، دين الإنسان وغيرها.

opeikanar.com

12 - فراس السواح، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار الكندي ط 3 /1988 ص235 ـ 236.

13 - المرجع السابق ص236.

14 - عبد الرزاق رحيم صلال الموحي، العبادات في الأديان السماوية ـ اليهودية المسيحية ـ الإسلام، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، ط1/2001 نقلاً عن رشدي عليان وسعدون الساموك: الأديان دراسة تاريخية مقارنة.

15 - د. محمد اسماعيل الندوي، الهند القديمة، حضاراتها، وديانتها، دار الشعب /1970 ص96.

16 - المرجع السابق ص44

17 - عبد الرزاق رحيم الموحي، المرجع السابق ص130 وما بعده.

18 - د. محمد اسماعيل الندوي، المرجع السابق ص104.

19 - عبد الرزاق رحيم صلال الموحي، المرجع السابق ص37.

20 - المرجع السابق ص201 وما بعد.

21 - المرجع السابق ص134 وما بعد.

22 - خليل عبد الكريم، الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية، سينا للنشر + الانتشار العربي الطبعة الثانية /1997.

23 - سمير أسحق، جريدة النور/95/ 2 نيسان /2003.

24 - د. عادل العوا، المرجع السابق ص41 وما بين قوسين نقلاً عن محمد كرد علي.

25 - إيريك دوتشميد، الفصل الثاني من كتاب (دور الصدفة والغباء في تغيير مجرى التاريخ) ترجمة : محمد حبيب، والفصل بعنوان: ضياع الصليب الأعظم، قرنا حطين. منشور في مجلة النهج عدد /33/ سنة /19/ شتاء/2003 ص205.

26 - المرجع السابق ص215.

27 - د. عبد الله ابراهيم، المركزية الأوروبية، مرجع سابق ص16.

28 - تيري إيجلتون، المرجع السابق، ص148

29 - صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات، مرجع سابع، ص46.

30 - المرجع السابق، ص293

obeikan.com

31 - المرجع السابق، ص416

32 - المرجع السابق،ص414

33 - المرجع السابق، ص411

34 - راجع المرجع السابق ص270

35 -د. ادوارد سعيد ، المرجع السابق

36 - المرجع السابق.

37 - أسامة عجاج المهتار، المسيح السوري وحوار الحضارات، مجلة المعرفة السورية /473/ شباط /2003 السنة /41/

38 - فرد هاليداي، مرجع سابق.

❖ ❖ ❖

obeikandl.com